تـمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

الإسلام عند غير المسلمين

الحلقة (15)

باسم الله أبدأ ..

وفي ظل المصطفى عليه الصلاة والسلام يكون الحديث ..

وبهدي من دين الإسلام يمضي الفكر يلتمس التوفيق ..

أيها الأخوة في العروبة ..

أرثر ستانلي تريتون .. اسم لمستشرق انجليزي قد يعرفه بعض العرب الذين تجاوزا الخمسين من أبناء سوريا ولبنان وعدن حيث عاش زماناً معلماً وباحثاً في التراث الإسلامي الضخم .

ولد عام 1881 وتعلم في كلية مانسفيلد وجامعة أكسفورد وعندما وصل سن الثلاثين كوفأ على تعلقه بالعربية بتعيينه أستاذ مساعداً للغة الضاد في جامعة أدنبره .

وجه تريتون جل أبحاثه صوب الفقه الإسلامي ومدارسه المختلفة .. وقدم للمكتبة الإنجليزية مؤلفات عديدة عن الإسلام كدين وخلق وقانون للحياة البشرية .. كما تعرض للموقف الإسلامي من مختلف الأديان وأصدر فيه كثيراً من الأبحاث نشرتها جامعة أكسفورد عام 1930 تحت اسم (الخلفاء ورعاياهم غير المسلمين) كما نشرت مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بحثه التاريخي الدقيق عن الإسلام وحماية الأديان.

ويعتبر تريتون واحداً من أهم المستشرقين الانجليز الذين وقفوا حياتهم على دراسة الإسلام كدين .

وما أكثر ما أنصف أرثر ستانلي تريتون الإسلام والمسلمين .. في كتابه (الإسلام إيمان وشعائر) الصادر عام 1950 وفي مؤلفه (مواد في التربية الإسلامية) المطبوع عام 1957 وفي بحثه القيم (القانون الإسلامي) المنشور عام 1842 وفي دراساته عن الحياة في فجر الإسلام والتي ظهرت تباعاً بين عام 1940 وعام 1945 كذلك أصدر بحثاً في التربية الإسلامية في العصر الوسيط استخدم فيه الأسلوب العلمي الحديث في البحث والتجريب والتفكير، وبحثاً عن ثورة الطبقات في سوريا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر أنصف فيه جماهير المسلمين وأئمتهم الدينيين وبحثاً عملاقاً عن الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية عاونه على إصداره المؤرخ المستشرق الإنجليزي الكبير سير هاملتون جيب ..

هذا الرجل .. أرثر ستانلي تريتون ...

لنا معه اليوم وقفة طويلة متأنية ..

فتريتون ليس مستشرقاً عادياً .. ترجم أو سجل أو أرّخ ومضى ..

إنما هو بحث ودرس وبذل من الجهد العملي العقلي والجسدي الشيء الكثير وصولاً إلى معرفة حقائق التاريخ الأول في الإسلام محاوراً في نقاش وجدل ثم متأملاً في فكر عميق وبروحية الباحث العلمي المتجرد المنقب عن الحقيقة كل الحقيقة ..

ثم هو بعد كل هذا لم يسيطر عليه تعصب أو تحدد له ما يكتب سياسة وإنما انطلق ينشر كل ما توصلت إليه أبحاثه وما اقتنع به فكره وما استقر عليه تأمله .

ولنضرب الأمثلة من آراء هذا المستشرق الإنجليزي آرثر ستانلي تريتون ما يصلح أن يكون خير دليل لشباب هذا الجيل يدعوهم إلى التماس دينهم من جديد والاسترشاد به في سلوكهم اليومي وحياتهم كلها وسط الصراع الحضاري المعاصر .

يتحدث تريتون عن القيمة التي اكتشفها للإسلام كعقيدة خلقت لقبائل العرب المتقاتلة دولة قوية نامية تقود البشرية في ركب الحضارة طوال قرون عديدة من الزمان فنراه يرجع هذه القيمة الإسلامية الى ما أسماه بالوحدة التي صهرت جموع المؤمنين بالرسالة المحمدية في بوتقة واحدة ولتقدم للبشرية طرازاً فريداً جديداً من البشر الدعاة والعلماء المستشهدين ..

يقول آرثر ستانلي تريتون :

" إن جاز القول بأن التفسير المادي للتاريخ يصلح أساساً في تعليل وتفسير الظواهر الكبرى والأحداث الحاسمة عبر القرون وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها وحركة البشرية وتطوراتها ، فلا شك أن هذا الاسلوب في تحليل التاريخ سيقع صريع الفشل الذريع وهو يتصدى لتفسير التطور الهائل الذي أحدثه الإسلام في قبائل الجزيرة العربية وما حققه بينهم من وحدة وما فرضه بهم من انتصارات ساحقة على دولتي العالم الكبرى في ذلك الزمان وما أثمره بعد ذلك من حضارة متعددة الجوانب بصورة لم يسبق للتاريخ أن سجل لها مثيلاً أيام الفراعنة أو اليونان أو الرومان أو قدامى الهند والصين " ..

ويتساءل المستشرق الانجليزي تريتون عن سر الغلبة الإسلامية عسكرياً وحضارياً وطوال ثمانية قرون طويلة عريضة، الأمر الذي لم يعرفه التاريخ لدولة أو حضارة فنراه يرجع سر القوة العربية الحضارية إلى الإسلام .. هذا هو سر تلك الظاهرة الفريدة عند المستشرق الانجليزي ..

يقول تريتون :

" في الإسلام قوة هائلة تولد في معتنقيه حيوية دافقة وديناميكية حية تجعله مفتوحاً على البشرية جمعاء منبتاً بذور حضارة متفوقة. ثم إن تعاليمه وطقوسه وأسلوبه في غرسها وعطائها وممارستها يؤدي عفوياً إلى جمع الكلمة وتأليف القلوب وربط الشعوب وتحقيق العدل ونشر المحبة وإشاعة السلام " ..

ويفسر المستشرق الانجليزي آرثر تريتون اقتناعه بالإسلام كقوة حضارية أعادت خلق العرب والشعوب المؤمنة به خلقاً نامياً متفوقاً كاسحاً بقوله في كتابه : " الإسلام إيمان وشعائر " ..

" إن الدين عند المسلمين هو الحقيقة اليومية المتجددة ، إنه أساس تحركهم في الحياة فهو عندهم ليس كهنوتاً أو حكراً أو علماُ يرتفع عن العامة ومعيشتهم بكل ما تضمه من صراعات ومشكلات .. على العكس .. الدين عند المسلمين هو الحياة بكل تفاصيلها ودقائقها وجميع احتمالاتها المستقبلة .. وهذه الحقيقة الإسلامية الكبرى هي التي جعلت من المسلمين الحقيقيين ثابتي الإيمان صانعي المعجزات مبدعي الحضارات ..

ويناقش تريتون جوهر التفوق الحضاري العربي ويرجعه إلى التكريم الصريح للعمل والعلماء الذي نص عليه القرآن الكريم وتحدثت به أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام فيقول في نفس كتابه (الإسلام إيمان وشعائر) ..

" إن الإسلام يكبر من شأن العلم ويؤكد في أكثر من موضع تقديره واجلاله وتمييزه للعلماء بل أن النبي محمد جعل العلم فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة ففي الإسلام لا يستوي طالب العلم والخادم بالعلم بالعابد الناسك ولا حتى

بالملائكة والصديقين فللعلماء منزلة أرفع في السماء ومكانة أقرب من الله وهذا الموقف الإسلامي هو ولا شك الذي أدى إلى التفوق الحضاري للمسلمين بصورة لم ولن تحققها أمة أو عقيدة عبر التاريخ البشري " ..

هذا هو الإسلام .. صانع العلماء .. والتفوق الحضاري الكاسح طوال 1000 عام من الزمان ..

فلتكن لنا عودة إلى الإسلام الصحيح .. إلى أسلوبه الأخلاقي الرفيع في الحياة الدنيوية .. إلى احترامه للعلم وفرضه الواجب على المسلمين وتقديسه الإلهي لأصحابه من العلماء ..

من يسمع .. من يؤمن ... ومن يصدق العمل ..

الأمل في الشباب ...

والله الموفق ... الله المعين ...